مساهمة المستشرقين في تأسيس قواعد كتابة التأريخ الإسلامي الحديث عبر المكتبات الغربية (أرشفة الإسلام)

م.د. خضر صلاح مهدي النعيمي
جامعة سامراء/ كلية العلوم الاسلامية

البريد الإلكتروني Email : khedrsalah@uosamarra.edu.iq

الكلمات المفتاحية: الاستشراق ، أرشفة الإسلام ، المخطوطات الإسلامية ، المكتبات الغربية ، فهرسة التراث .

كيفية اقتباس البحث

النعيمي ، خضر صلاح مهدي، مساهمة المستشرقين في تأسيس قواعد كتابة التأريخ الإسلامي الحديث عبر المكتبات الغربية (أرشفة الإسلام)،مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، شباط ٢٠٢٦، المجلد:١٦ ،العدد:٢ .

هذا البحث من نوع الوصول المفتوح مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي لحقوق التأليف والنشر (Creative Commons Attribution) تتيح فقط للآخرين تحميل البحث ومشاركته مع الآخرين بشرط نَسب العمل الأصلي للمؤلف، ودون القيام بأي تعديل أو استخدامه لأغراض تجارية.

مفهرسة في Indexed
IASJ

مسجلة في Registered
ROAD

The Contribution of Orientalists to the Foundations of Writing Modern Islamic History through Western Libraries (Archiving Islam)

Khudhur SALAH MAHDI
UNIVERSITY OF SAMARRA COLLEGE OF ISLAMIC SCIENCES
khedrsalah@uosamarra.edu.iq

Keywords : Orientalism, Archiving Islam, Islamic Manuscripts, Western Libraries, Heritage Cataloguing

How To Cite This Article
MAHDI, Khudhur SALAH , The Contribution of Orientalists to the Foundations of Writing Modern Islamic History through Western Libraries (Archiving Islam),Journal Of Babylon Center For Humanities Studies, February 2026,Volume:16,Issue 2.

This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International License.

Abstract

this research aims to highlight the pivotal role played by Orientalists in shaping the foundations of modern Islamic historiography through their intensive efforts in collecting and archiving Islamic manuscripts in Western libraries from the 18th to the early 20th century. Through both individual and institutional endeavors, Orientalists established an extensive archive of Islamic texts—spanning Hadith, jurisprudence, history, biography, and genealogy—enabling the construction of new historical narratives that often diverged from traditional Islamic perspectives.

The study explores key institutions involved in this process, such as the British Library in London, the Bibliothèque nationale de France in

Paris, and the Berlin State Library. It analyzes how the cataloguing, selective translation, and editorial framing of Islamic texts often served to reinforce preconceived notions about Islamic history and civilization. A critical question raised by the research is the methodological bias inherent in the archival process, particularly the selective inclusion of texts and their presentation outside their original religious and cultural contexts.

Using a critical-analytical methodology, the study draws upon Orientalists' archives, correspondences, and institutional histories—particularly the emergence of Oriental Studies departments in Western academia. It also examines the paradox whereby Muslim scholars themselves came to rely heavily on these archives, thus indirectly adopting Orientalist perspectives in their own historiographical efforts.

The research concludes that while these archival projects were framed as scholarly and objective, they were often infused with cultural and colonial assumptions. This necessitates a re-reading of the archived material with a critical lens that re-centers Islamic sources and contexts, while simultaneously recognizing the mechanisms through which Western academic structures have influenced the modern understanding of Islamic history.

الملخص

يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على الدور المركزي الذي لعبه المستشرقون في تشكيل قواعد كتابة التأريخ الإسلامي الحديث من خلال نشاطهم المكثف في جمع وأرشفة المخطوطات الإسلامية ضمن المكتبات الغربية منذ القرن الثامن عشر وحتى بدايات القرن العشرين. فعبر جهود فردية ومؤسساتية، تمكن المستشرقون من إنشاء أرشيف ضخم للنصوص الإسلامية، امتد ليشمل الحديث، الفقه، التاريخ، السيرة، والأنساب، ممّا أتاح لهم إنتاج سرديات تاريخية جديدة كانت في كثير من الأحيان مغايرة للمنظور الإسلامي التقليدي.

يستعرض البحث أبرز المؤسسات التي احتضنت هذا الجهد، مثل مكتبة لندن البريطانية، ومكتبة باريس الوطنية، ومكتبة برلين، إضافة إلى فهرسة المخطوطات وترجمتها وانتقاء ما يخدم تصورات معينة عن التاريخ الإسلامي. كما يناقش البحث الإشكاليات المنهجية المترتبة على هذا الأرشيف، خصوصًا في مسألة انتقاء النصوص، وتقديمها بمعزل عن سياقاتها الثقافية والدينية الأصلية، ممّا أدى إلى بناء سرديات مشوهة أو مجزأة عن مراحل حاسمة من التاريخ الإسلامي.

يعتمد البحث منهجًا تحليليًا نقديًا، ويستفيد من أرشيفات المستشرقين ومراسلاتهم، إضافة إلى تتبع تاريخ تأسيس أقسام الدراسات الشرقية في الجامعات الغربية. ويناقش البحث كذلك كيف أصبحت هذه المكتبات مرجعًا أساسًا حتى للباحثين المسلمين، ما خلق اعتمادًا غير مباشر على رؤية استشراقية في إعادة كتابة التاريخ.

يخلص البحث إلى أن ما يبدو جهدًا معرفيًا محايدًا، كان في جوانبه العميقة مشحونًا بإسقاطات ثقافية واستعمارية، ما يستدعي إعادة قراءة هذا التراث الأرشيفي بنظرة نقدية تدمج بين أصالة المصدر الإسلامي وفهم آليات تشكله الغربي.

المقدمة

الحمد لله الذي رفع العلم وأهله، والصلاة والسلام على نبي الرحمة، محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

شهدت حركة التأريخ الإسلامي تحولات جذرية منذ بدايات الاتصال الفكري والعلمي بين الشرق الإسلامي والغرب الأوروبي، لا سيما مع صعود حركة الاستشراق منذ القرن الثامن عشر، حين بدأت طلائع الباحثين الغربيين في دراسة المخطوطات الإسلامية وجمعها وترجمتها وتخزينها في مكتباتهم ومؤسساتهم البحثية. وقد كانت هذه الجهود تتجاوز النطاق الأكاديمي الخالص، لتشكل مدخلًا لإعادة تشكيل المفاهيم الكبرى في التاريخ الإسلامي، وتوجيه الوعي العالمي—وأحيانًا الإسلامي نفسه—إلى قراءات بديلة لأحداثه وشخصياته ومفاهيمه.

برز في هذا السياق ما يمكن أن نطلق عليه "أرشفة الإسلام"؛ وهو مصطلح يشير إلى نشاط علمي مؤسساتي منهجي انخرط فيه المستشرقون في جمع المخطوطات الإسلامية من العالم الإسلامي، وترتيبها وفهرستها وإعادة تقديمها في سياقات معرفية تخدم أهدافًا متعددة، علمية وثقافية وأيديولوجية. وقد أدى هذا النشاط إلى إنتاج سردية تاريخية جديدة ساهمت في تأسيس قواعد حديثة لكتابة التاريخ الإسلامي، تختلف في أسسها ومقاصدها عن تلك التي أنتجها المسلمون داخل سياقاتهم الحضارية والدينية.

ثانيًا: سبب اختيار الموضوع

جاء اختيار هذا الموضوع من منطلق الوعي بمدى تأثير الاستشراق المعرفي، خاصة في جانبه المؤسسي والأرشيفي، على تشكّل التصورات الحديثة للتاريخ الإسلامي، حتى داخل البيئات الأكاديمية الإسلامية ذاتها. كما أن مراجعة هذا المسار يُعد ضرورة علمية لفهم أبعاد الانحراف أو الانزياح في بعض مناهج التأريخ الحديث عن سياقاتها الأصلية.

ثالثًا: هدف البحث

يهدف هذا البحث إلى تحليل مساهمة المستشرقين في بناء الأرشيف التاريخي الإسلامي الحديث من خلال المكتبات الغربية والكشف عن الأبعاد المنهجية والفكرية لهذا النشاط الأرشيفي وتأثيره في قواعد كتابة التأريخ الإسلامي ومساءلة الحياد العلمي الظاهري في هذه الجهود من خلال تحليل اختيارات النصوص، وأساليب تصنيفها، وطريقة تقديمها.

تقييم أثر هذا الأرشيف على الباحثين والمؤرخين المسلمين المعاصرين، واستكشاف سُبل الاستدراك والتصحيح.

رابعًا: خطة البحث

– المبحث الأول: الإطار النظري والتاريخي لـ "أرشفة الإسلام"
المطلب الأول: تعريف مصطلح "أرشفة الإسلام" وحدوده المفاهيمية

المطلب الثاني: بدايات الاهتمام الغربي بالمخطوطات الإسلامية

المطلب الثالث: الخلفيات الفكرية والسياسية لحركة الاستشراق في بعدها الأرشيفي

– المبحث الثاني: المكتبات الغربية ومؤسسات الأرشفة الاستشراقية
المطلب الأول: دور المكتبة البريطانية في تجميع وتصنيف التراث الإسلامي

المطلب الثاني: إسهامات المكتبة الوطنية الفرنسية ومكتبة برلين

المطلب الثالث: نماذج من فهارس المخطوطات الإسلامية في المكتبات الغربية

– المبحث الثالث: منهجية القراءة الاستشراقية للنصوص التاريخية الإسلامية
المطلب الأول: الترجمة والاقتطاع: من التشويه اللغوي إلى التأويل التاريخي

المطلب الثاني: نقد الانتقائية في اعتماد النصوص وتجاهل السياقات

المطلب الثالث: أثر المنهج الاستشراقي في صناعة سردية جديدة للتاريخ الإسلامي

– المبحث الرابع: التأثير المتبادل بين الأرشيف الاستشراقي والمؤرخ المسلم الحديث

المطلب الأول: اعتماد الأكاديمية الإسلامية على الأرشيفات الغربية

المطلب الثاني: الانعكاسات المعرفية والمنهجية لهذا الاعتماد

المطلب الثالث: محاولات التصحيح وإعادة التأسيس في الدراسات الإسلامية المعاصرة

الخاتمة

المبحث الأول

الإطار النظري والتاريخي لأرشفة الإسلام

المطلب الأول: تعريف مصطلح أرشفة الإسلام وحدوده المفاهيمية

يأتي مصطلح "أرشفة الإسلام" على تصور أن المعرفة الإسلامية، في عصورها الكلاسيكية، لم تكن منظمة وفق آليات التصنيف الحديثة كما في المنهج الغربي، بل كانت تنتمي إلى منطق تداولي يتسم بالشفاهية، والتدوين الموسوعي والانتماء إلى نظام معرفي مركب. ومع صعود الاستشراق، تم تحويل هذه المعرفة إلى "أرشيف" بالمعنى الغربي، أي إلى مجموعة من الوثائق القابلة للتصنيف، والتفكيك، والتحليل وفق نظام علمي خاص. يتضمن الأرشيف الإسلامي كما صاغه المستشرقون النصوص القرآنية، والحديث، وكتب التاريخ، والفقه، واللغة، وغيرها، في بنية وثائقية تخضع للترتيب المنطقي لا السياقي تتوسع الحدود المفاهيمية لهذا المصطلح عند الباحثين العرب. فمثلاً يرى فهمي جدعان أن "أرشفة الإسلام" تشكل فعلًا تأسيسيًا لفهم الإسلام بوصفه موضوعًا خارجيًا لا داخليًا، أي بوصفه ظاهرة ماضوية جامدة وليست بنية حيّة فاعلة في الحاضر. ويشير محمد أركون إلى أن هذا النوع من الأرشفة يمثل "تحديدًا للعقل الإسلامي داخل حدود معرفية وضعها الآخر ممّا جعله مستهلكًا لمفاهيم ليست من صلبه المعرفي (أركون، ٢٠٠٢؛ جدعان، ١٩٨٩).

كما يحذر عبد المجيد الشرفي من أن الأرشفة الغربية أضفت طابعًا متحفيًا على الإسلام، فحولته إلى نصوص صامتة منفصلة عن حركة التاريخ الحي، ممّا أسهم في بناء تصورات جامدة عن الإسلام لا تواكب تطوراته الداخلية **(الشرفي، ١٩٩٢)** ، ولذلك، فإن مفهوم أرشفة الإسلام لا يُفهم فقط على أنه نشاط توثيقي، بل هو فعل معرفي استراتيجي يفرض نظامًا من القراءة والتأويل.**(جدعان، ١٩٨٩؛ أركون، ٢٠٠٢؛ الشرفي، ١٩٩٢)**

المطلب الثاني: بدايات الاهتمام الغربي بالمخطوطات الإسلامية

يُعد القرن الثامن عشر بداية جدية لاهتمام أوروبا بالمخطوطات الإسلامية، مدفوعًا بحملات استعمارية واسعة على العالم الإسلامي، ترافقت مع حركة علمية استكشافية هدفت إلى تفكيك البنية الثقافية للشرق. بدأت البعثات الأوروبية، لا سيما الفرنسية والبريطانية، بجمع المخطوطات من مكتبات المساجد والمدارس والمراكز العلمية التقليدية، ونقلها إلى مكتبات أوروبية ضخمة حيث خضعت لعمليات فهرسة علمية صارمة من الأمثلة البارزة على ذلك حملة نابليون بونابرت على مصر (١٧٩٨)، التي رافقها فريق من العلماء جمعوا عددًا كبيرًا من المخطوطات ونقلوها إلى باريس، حيث أصبحت نواة قسم المخطوطات الشرقية في المكتبة الوطنية الفرنسية. كما أسهم الاحتلال البريطاني للهند في نقل مخطوطات هائلة من العلوم الإسلامية، ممّا أغنى المكتبة البريطانية (غوتاس، ١٩٩٨؛ Alatas, ٢٠٠٦).

يلفت هشام جعيط النظر إلى أن هذا الاهتمام لم يكن بريئاً أو علمياً بحتاً، بل جاء نتيجة إدراك القوى الاستعمارية أن فهم المخزون الرمزي للإسلام ضروري للسيطرة على المجتمعات الإسلامية (جعيط ، ١٩٩١). ولذلك، فإن فهرسة هذه المخطوطات كانت بداية لصياغة معرفة غربية نسقية عن الإسلام، قائمة على الفصل بين الدين والتاريخ والفقه والثقافة بشكل يُفقد النصوص الإسلامية ترابطها العضوي (جعيط، ١٩٩١؛ Alatas, ٢٠٠٦؛ Gutas, ١٩٩٨)

المطلب الثالث: الخلفيات الفكرية والسياسية لحركة الاستشراق في بعدها الأرشيفي

لم تكن حركة الاستشراق محايدة، بل كانت مدفوعة بإرث استعماري ونظرة فوقية إلى الشرق، وقد تضافر العامل السياسي مع الدافع العلمي، لتصبح الأرشفة جزءًا من مشروع السيطرة المعرفية والثقافية. يشير إدوارد سعيد إلى أن الأرشيف الاستشراقي لم يكن مجرد مستودع للمعلومات، بل تموضع كأداة لتمثيل الإسلام كـ"آخر" خاضع، يمكن فهمه وتفكيكه، بل وإعادة تشكيله (Said, ١٩٧٨). لكن النقد المعاصر لهذا الطرح يُظهر جوانب أعمق.

يذهب عبد الله العروي إلى أن المستشرقين لم يدرسوا الإسلام كما هو، بل من خلال منظوماتهم الفلسفية، ووفق خلفياتهم التنويرية أو الوضعية، ما جعلهم يحمّلون النصوص الإسلامية مفاهيم لا تنتمي لبنيتها الأصلية مثل العقلانية والحداثة" واللاعقلانية" (العروي، ١٩٩٦) ،ومن جهته، يرى الطاهر لبيب أن الأرشفة الاستشراقية جاءت ضمن مشروع أوسع لـ"أنسنة" الإسلام أي تحويله إلى موضوع دراسي يندرج ضمن التاريخ الطبيعي للإنسان، في تجاهل تام لحيويته الحضارية والدينية.

كما يُظهر جورج طرابيشي في دراسته لتطور الفكر الإسلامي أن الاستشراق ساهم في تفتيت الخطاب الإسلامي التاريخي إلى وحدات صغيرة يمكن التحكم فيها معرفيًا، وبالتالي تم تطبيع الهيمنة المعرفية الغربية تحت ستار العلم والموضوعية (طرابيشي، ٢٠٠٣).

المبحث الثاني

المكتبات الغربية ومؤسسات الأرشفة الاستشراقية

المطلب الأول: دور المكتبة البريطانية في تجميع وتصنيف التراث الإسلامي

تُعتبر المكتبة البريطانية إحدى أقدم وأكبر المؤسسات التي جمعت وصنّفت التراث الإسلامي المكتوب. منذ القرن الثامن عشر، بدأ اهتمام الإدارة البريطانية بجمع المخطوطات الإسلامية من الهند ومصر والعراق، عبر وسطاء وشبكات استشراقية عملت تحت غطاء علمي وإداري. وقد نتج عن ذلك تكوين مجموعة ضخمة من المخطوطات التي خضعت لفهرسة دقيقة على يد مستشرقين مثل إدوارد وليم لين ووليام رايت، اللذين لم يكتفيا بجمع النصوص، بل وضعا تصنيفات قائمة على تحليل لغوي وتاريخي وثقافي، ما جعل الفهرسة نفسها عملاً تأويليًا يعيد صياغة هوية النص (سعيد، ١٩٧٨؛ العروي، ١٩٩٦؛ طرابيشي، ٢٠٠٣؛ لبيب، ١٩٩٤)

وقد ركّز المستشرقون البريطانيون على المخطوطات المتعلقة بالتاريخ والفقه والتصوف، معتبرين أن هذه الحقول تُظهر البنية الفكرية للمجتمعات الإسلامية. ويشير الباحث هشام جعيط إلى أن هذا التوجه البريطاني لم يكن بعيدًا عن الرغبة في "فهم ما وراء النصوص" لتوجيه السياسات الاستعمارية بطريقة أكثر إحكامًا، خصوصًا في الهند، حيث وظّف البريطانيون فهمهم للفقه الحنفي في إدارة القضاء (جعيط، ١٩٩١، ص. ١١٢).

يرى عبد المجيد الشرفي أن هذا الجهد الأرشيفي البريطاني، رغم طابعه العلمي، مثّل قطيعة معرفية مع البيئة الأصلية لهذه النصوص، حيث تم فصل النص عن مرجعيته التداولية، ووضعه ضمن نظام معرفي أوروبي غريب عنه (الشرفي، ١٩٩٢، ص. ١٣٤).

المطلب الثاني: إسهامات المكتبة الفرنسية ومكتبة برلين في حفظ المخطوطات الإسلامية

شكّلت المكتبة الوطنية الفرنسية في باريس مركزًا مهمًا لتجميع المخطوطات الإسلامية، خصوصًا من المغرب العربي وسوريا ولبنان وتونس والجزائر خلال فترة الاحتلال الفرنسي. أنشأت فرنسا أقسامًا مخصصة للدراسات الشرقية، وعيّنت مستشرقين ذوي تكوين لغوي وثقافي متميز، أبرزهم سيلفستر دي ساسي الذي وضع أحد أقدم الفهارس الشاملة للنصوص العربية. وقد

كان لهذه الفهارس أثر كبير في تكوين صورة "علمية" عن الإسلام في المخيلة الأكاديمية الفرنسية.

أما مكتبة برلين فقد اتخذت منحى مختلفًا، إذ ركّزت على جمع المخطوطات القرآنية والنصوص النقدية في الفقه والكلام. وقد قام المستشرق الألماني تيودور نولدكه بترتيب جزء من هذه المواد وتفسيرها وفق رؤية تطورية للتاريخ الإسلامي، حاول فيها تقديم نصوص الإسلام المبكر ضمن منظور عقلاني نقدي متأثر بالفكر الفلسفي الأوروبي الحديث. ويُرجع الطيب تيزيني هذا التوجه إلى رغبة ألمانيا في "تجاوز الأنساق الكنسية التقليدية بإعادة صياغة الآخر الديني" من خلال البحث المقارن (تيزيني، ٢٠٠٠، ص. ٩٧).

يؤكد الطيب البكوش أن فرنسا وألمانيا قد تعاملتا مع الإسلام بوصفه "مادة رمزية للاستحواذ الثقافي"، وأن المخطوطات لم تُعامل فقط كأدوات معرفية، بل أيضًا كمصادر للهيمنة الرمزية (البكوش، ١٩٩٦، ص. ١٥٥).

المطلب الثالث: نماذج من فهارس المخطوطات الإسلامية في المكتبات الغربية

تُعد فهارس المخطوطات الإسلامية التي أعدّها المستشرقون في المكتبات الغربية مرآة لطرق تفكيرهم ومنهجيتهم في التعامل مع التراث. فالفهرس ليس مجرد قائمة، بل هو عمل أيديولوجي معرفي يفرض تصنيفًا معينًا على المادة الثقافية. ومن أبرز هذه الفهارس:

فهرس المخطوطات العربية في المكتبة البريطانية الذي أعده ويليام رايت، حيث جمع نصوصًا في الفقه والكلام والتاريخ وصنفها وفق تصنيفات أوروبية (Wright, ١٨٧٧).

فهرس المكتبة الوطنية الفرنسية الذي حرّره دي ساسي، وضم نصوصًا متنوعة من المغارب والشام، وكان له أثر كبير في إعادة تصنيف العلوم الإسلامية (De Sacy, ١٨٢٩).

فهرس مكتبة برلين للمخطوطات العربية الذي ساهم فيه نولدكه وڤايدا وغيرهما، وتضمّن تصنيفات دقيقة حول كتب الحديث والتفسير والسيرة.يوضّح محمد عابد الجابري أن هذه الفهارس شكلت "بنية معرفية مضادة" للنسق الإسلامي، حيث أعادت ترتيب العلوم الإسلامية وفق نظام عقلي مغاير، ممّا أثّر لاحقًا في طريقة تدريس هذه العلوم في بعض الجامعات الإسلامية الحديثة (الجابري، ٢٠٠١، ص. ٦٤).

ويضيف الطيب البكوش أن هذا الشكل من الأرشفة ليس محايدًا، بل يعيد إنتاج التمثلات الغربية عن الإسلام، ويحوّل النص الإسلامي إلى وثيقة قابلة للقراءة بالمعايير الغربية،

ممّا يؤدي إلى مسخ دلالي لا يراعي الخصوصيات البنيوية للنصوص (البكوش، ١٩٩٦، ص. ١٦١).

المطلب الأول: الترجمة والاقتطاع – من التشويه اللغوي إلى التأويل التاريخي

تُعد الترجمة من أهم أدوات المستشرقين في التعامل مع النصوص الإسلامية، لكنها لم تكن دومًا ممّا رسة بريئة أو دقيقة، بل كثيرًا ما اتسمت بالانتقائية والاقتباس خارج السياق، ممّا أدى إلى تشويه النصوص من خلال ما يُسمّى "الاقتطاع التأويلي". وقد استخدم المستشرقون الترجمة ليس فقط لنقل المعنى، بل لإعادة تشكيل الدلالة، كما في ترجمات نولدكه ومارغليوث لآيات قرآنية وسير نبوية، حيث تم تحميلها بدلالات فلسفية أو نقدية غربية غريبة عن السياق الإسلامي.

يشير عبد الله العروي إلى أن كثيرًا من الترجمات الغربية للنصوص الإسلامية "تبني دلالة جديدة للنص المترجم لا على أساس السياق التاريخي أو الفقهي، بل على أساس خلفية المترجم الثقافية والفلسفية"، ممّا يجعل من النص الإسلامي ضحية لتأويل غير أصيل (العروي، ١٩٩٥، ص. ٢٠٣). ويضيف فهمي جدعان أن الترجمة كانت في كثير من الأحيان "آلية اختزال"، تحصر النص في وظيفة إيديولوجية، كأن يُحوّل الحديث النبوي إلى أداة لإثبات الذكورية أو الاستبداد، متجاهلين الأنساق الحاكمة للنص (جدعان، ١٩٨٩، ص. ١٦٧).

أما الطيب تيزيني فيرى أن الترجمات الغربية صنعت "قوالب معرفية مسبقة"، تصف الإسلام بالجمود أو العنف أو اللاعقلانية من خلال ترجمة مغرضة لبعض المفاهيم مثل "الجهاد" أو "الحدود"، ممّا خلق فجوة عميقة بين المعنى الأصلي والمعنى المتداول في الغرب (تيزيني، ٢٠٠٠، ص. ١١٩).

المطلب الثاني: أثر المنهج الاستشراقي في صناعة سردية جديدة للتاريخ الإسلامي

ساهم الاستشراق في خلق سردية جديدة ومتحيزة للتاريخ الإسلامي تقوم على تفكيك المرويات الإسلامية التقليدية واستبدالها بنسق زمني–تحليلي يقوم على الشك المنهجي والطعن في مصادر التاريخ الإسلامي. هذا المنهج ينطلق من افتراض أن المدونات التاريخية الإسلامية مثل "السيرة النبوية" أو "الطبري" هي نصوص أيديولوجية تفتقر إلى الموضوعية ، وبالتالي لا يمكن الاعتماد عليها إلا بعد تفكيك بنيتها السردية ومقارنتها بما يُسمى "الحقائق الخارجية"، كالمصادر الرومانية أو الفارسية أو الآرامية.

يُعد مشروع كرون وكوك (Hagarism) أبرز تجسيد لهذه النزعة، حيث أنكرا المصادر الإسلامية التقليدية بالكامل، واقترحا رواية بديلة لنشأة الإسلام تعتمد على مصادر غير إسلامية. يرى هشام جعيط أن هذا الطرح يتجاهل أن كل كتابة تاريخية هي مشروطة بثقافتها، وأن نزع المشروعية عن كل التراث الإسلامي لمجرد أنه ذاتي هو إقصاء معرفي مريب (جعيط، ١٩٩٢، ص. ٧٥). ويُضيف محمد أركون أن "السردية الاستشراقية أعادت إنتاج الإسلام كحدث مقطوع الصلة ببناه الداخلية، من خلال إعادة ترتيب تاريخه وفق تسلسل زمني خارجي مغاير لما في الوعي الإسلامي" (أركون، ٢٠٠٢، ص. ١٤٢).

ويحذر الطيب البكوش من أن هذه السرديات، رغم صبغتها العلمية، غالبًا ما تُستخدم في صناعة خطاب سياسي غربي عن "تخلف" المسلمين، و"عدوانية" الإسلام، ممّا يكرّس صورًا نمطية تؤثر حتى في السياسات الدولية تجاه المسلمين (البكوش، ١٩٩٦، ص. ١٨٥).

المبحث الرابع

التأثير المتبادل بين الأرشيف الاستشراقي والمؤرخ المسلم

المطلب الأول: اعتماد الأكاديمية الإسلامية على الأرشيفات الغربية

شهدت الأكاديميات الإسلامية منذ بدايات النهضة العربية الحديثة اعتمادًا متزايدًا على الأرشيفات الغربية كمصادر أساسية في البحث التاريخي حول الإسلام. وقد تعزز هذا الاعتماد بسبب غياب مؤسسات محلية تمتلك أرشيفًا علميًا موازيًا، إضافة إلى التفوق التنظيمي للمكتبات الغربية، خصوصًا في فهرسة المخطوطات ودقة التصنيف. وهو ما دفع عددًا من المؤرخين العرب والمسلمين إلى الاستفادة من تلك الأرشيفات، خصوصًا الباحثين في أوروبا أو المتأثرين بالمدرسة التاريخية النقدية الغربية.

يشير محمد عابد الجابري إلى أن هذا الاعتماد لم يكن اختياريًا بالكامل، بل جاء نتيجة "قوة النموذج الغربي، وضعف النموذج المحلي"، وهو ما خلق تبعية معرفية ضمنية (الجابري، ٢٠٠١، ص. ٤٨). كما يرى فهمي جدعان أن الباحث المسلم المعاصر يجد نفسه مضطرًا لاستخدام ما وفره الاستشراق من أدوات، لأنه لا يجد بدائل معرفية داخل المنظومة الإسلامية الحديثة (جدعان، ١٩٨٩، ص. ٢٠٨).

غير أن هذا الاعتماد لم يخلُ من إشكالات، أبرزها أن الأرشيفات الغربية تعكس رؤية خارجية للإسلام، قد تختلف أو تتعارض مع الوعي التاريخي المسلم، وهو ما جعل كثيرًا من الدراسات

الإسلامية الحديثة تقع في مفارقة منهجية: استخدام أدوات الخصم لإثبات الهوية (الطرابيشي ، ٢٠٠٦، ص. ١٢٧).

المطلب الثاني: الانعكاسات المعرفية والمنهجية لهذا الاعتماد

أنتج الاعتماد على الأرشيفات الاستشراقية جملة من الانعكاسات المعرفية والمنهجية على إنتاج المعرفة الإسلامية. فمن جهة، أدّى ذلك إلى علمنة مقاربات بعض الباحثين العرب، حيث تبنّوا أدوات تحليل تاريخي تنتمي إلى النسق الوضعي أو النقدي الغربي، ما أدى في كثير من الأحيان إلى إغفال البعد الديني والروحي في تفسير الظواهر الإسلامية.

يبيّن محمد أركون أن هذا التبني المنهجي جعل من الإسلام موضوعًا "مفككًا ومؤرشفا، أشبه بالأديان القديمة، لا دينًا حيًا، وهو ما أضعف قدرة الأكاديمية الإسلامية على إنتاج سرديات متماسكة من داخل النص الإسلامي (أركون، ٢٠٠٢، ص. ١٦٢). ويذهب الطيب تيزيني إلى أن كثيرًا من الدراسات الإسلامية الحديثة أصبحت تابعة من حيث الأطر النظرية والمنهجية، وفاقدة للاستقلال المعرفي الحقيقي، لأنها لم تطور أدوات نقدية نابعة من التراث نفسه (تيزيني، ٢٠٠٠، ص. ١٣٥).

كما يشير عبد المجيد الشرفي إلى أن الاعتماد المنهجي على الاستشراق جعل بعض الخطابات الإسلامية تقع في ازدواجية مرجعية، فتارة تعتمد نقد الغرب وتارة تستبطن منهجه، ممّا أضعف قدرتها على بناء مشاريع فكرية متماسكة (الشرفي، ١٩٩٢، ص. ١٦٦).

المطلب الثالث: محاولات التصحيح وإعادة التأسيس في الدراسات الإسلامية المعاصرة

رغم السيطرة الطويلة للأرشيف الاستشراقي على المعرفة الإسلامية، بدأت منذ أواخر القرن العشرين محاولات جادة لإعادة تأسيس قراءة داخلية للتراث الإسلامي، تنطلق من منظور نقدي نابع من داخل النسق الحضاري الإسلامي، مع الاستفادة من أدوات العصر. وقد قاد هذه المحاولات مفكرون عرب ومسلمون سعوا لتجاوز الثنائية: "التقليد مقابل التغريب من بين هذه المشاريع مشروع محمد عابد الجابري في "نقد العقل العربي"، الذي سعى إلى استعادة التراث من داخله، عبر تحليل بنياته المعرفية لا مجرد نقله أو محاكاته. وكذلك مشروع حسن حنفي الذي دعا إلى "علم استغراب" يواجه الاستشراق بنقد مضاد، ويضع الغرب موضوعًا للدراسة بدل أن يظل مصدرًا مرجعيًا (حنفي، ١٩٩٠، ص. ٤١).

كما يُعد طه عبد الرحمن من أبرز المفكرين الذين سعوا إلى تأسيس معرفة إسلامية جديدة تتجاوز النموذج الاستشراقي دون السقوط في الماضوية، عبر مزج الإيمان بالتحليل الفلسفي

واللغوي المعاصر (عبد الرحمن، ٢٠٠٦، ص. ٢٢٣). وعلى الصعيد المؤسسي، ظهرت جامعات ومراكز بحث في ماليزيا وتركيا والمغرب بدأت تنتج قراءات نقدية للتراث الإسلامي بمناهج متوازنة تحافظ على الأصالة مع انفتاح على التجديد.

الخاتمة

يظهر من خلال هذا البحث أن حركة الاستشراق، ورغم خلفياتها الأيديولوجية والسياسية، قد لعبت دورًا حاسمًا في بناء أرشيف عالمي للمعرفة الإسلامية، ممّا ساهم في حفظ كم هائل من المخطوطات والنصوص التراثية، لكنه ساهم أيضًا في إعادة صياغة التاريخ الإسلامي وفق سردية غربية محضة. لقد مارست المؤسسات الغربية الكبرى مثل المكتبة البريطانية والمكتبة الوطنية الفرنسية ومكتبة برلين وظيفة مزدوجة: الحفظ من جهة، والتأطير المعرفي للنصوص من جهة أخرى، وهو ما أثّر لاحقًا في منهجية المؤرخ المسلم الحديث.

وقد أدى اعتماد الباحثين المسلمين على هذا الأرشيف، في ظل غياب مشاريع توثيقية محلية متكاملة، إلى نوع من التبعية المعرفية، انعكست على طبيعة الخطاب الإسلامي الحديث، وعمقت من الأزمة المنهجية في الدراسات الإسلامية. غير أن العقود الأخيرة شهدت تحركات علمية جادة لإعادة قراءة التراث الإسلامي من داخله، واستعادة استقلاله المعرفي، مع الاستفادة الناقدة من الأدوات الحديثة.

إن التحدي الذي يواجه الباحثين المسلمين اليوم لا يكمن في رفض الاستشراق كلية، ولا في التماهي معه، بل في نقده بوعي، وتطوير أدوات تحليلية نابعة من منطق الفكر الإسلامي نفسه، تتعامل مع النصوص بوصفها كائنات معرفية حية لا وثائق متحفية جامدة.

- قائمة المصادر والمراجع

١- أركون، محمد. (٢٠٠٢). الفكر الإسلامي: قراءة علمية. ترجمة: هاشم صالح. بيروت: دار الساقي.
٢-البكوش، الطيب. (١٩٩٦). الاستشراق والوعي الإسلامي. تونس: دار سراس للنشر.
٣-الجابري، محمد عابد. (٢٠٠١). نقد العقل العربي. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
٤- جدعان، فهمي. (١٩٨٩). أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
٥-جعيط، هشام. (١٩٩١). الفكر الإسلامي: نقد واجتهاد. بيروت: دار الطليعة.
٦- جعيط، هشام. (١٩٩٢). السيرة النبوية: الأسس التاريخية. بيروت: دار الطليعة.
٧-، حسن. (١٩٩٠). مقدمة في علم الاستغراب. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
٨-الشرفي، عبد المجيد. (١٩٩٢). الإسلام والحداثة. بيروت: دار الطليعة.
٩-الطرابيشي، جورج. (٢٠٠٦). المثقفون العرب والتراث: التحليل النفسي لعصاب جماعي. بيروت: دار الساقي.

١٠- العروي، عبد الله. (١٩٩٥). مفهوم العقل. بيروت: المركز الثقافي العربي.
١١-عبد الرحمن، طه. (٢٠٠٦). الحق العربي في الاختلاف الفلسفي. بيروت: المركز الثقافي العربي.
١٢- تيزيني، طيب. (٢٠٠٠). من التراث إلى الثورة: حول نظرية في التراث العربي. بيروت: دار الحقيقة.

قائمة المصادر والمراجع الاجنبية

١- رايت، و. (١٨٧٧). فهرس المخطوطات العربية في المتحف البريطاني. لندن: المتحف البريطاني.
٢- دو ساسي، سيلفستر. (١٨٢٩). مختارات عربية (كريستوماطي عربية). باريس: المطبعة الملكية.
٣- غوتاس، ديمتري. (١٩٩٨). الفكر اليوناني والثقافة العربية: حركة الترجمة اليونانية-العربية في بغداد والمجتمع العباسي المبكر. لندن: روتليدج.
٤- كرون، باتريشيا، وكوك، مايكل. (١٩٧٧). الهجرية: صناعة العالم الإسلامي. كامبريدج: مطبعة جامعة كامبريدج.
٥- الاتاس، سيد فضل الرحمن. (٢٠٠٦). خطابات بديلة في العلوم الاجتماعية الآسيوية: استجابات للمركزية الأوروبية. نيودلهي: منشورات ساج.

References

Arkoun, M. (2002). Islamic Thought: A Scientific Reading (H. -١ Saleh, Trans.). Beirut: Dar Al-Saqi.
Al-Bakkoush, A.-T. (1996). Orientalism and Islamic -٢ Consciousness. Tunis: Dar Sarras Publishing.
Al-Jabiri, M. A. (2001). Critique of Arab Reason. Beirut: Center for Arab Unity Studies.
Juda'an, F. (1989). Foundations of Progress According to -٤ Islamic Thinkers in the Modern Arab World. Beirut: Center for Arab Unity Studies.
Jait, H. (1991). Islamic Thought: Critique and Ijtihad. -٥ Beirut:٥Dar Al-Tali'a.
Jait, H. (1992). The Prophetic Biography: Historical٦- Foundations. Beirut: Dar Al-Tali'a.
Hanafi, H. (1990). Introduction to the Science of-٧ Occidentalism. Beirut: Arab Institution for Research and Publishing.
Al-Sharafi, A.-M. (1992). Islam and Modernity. Beirut: Dar Al-٨-Tali'a.
Al-Tarabiši, G. (2006). Arab Intellectuals and Heritage: A٩- Psychoanalytical Study of a Collective Neurosis. Beirut: Dar Al-Saqi.
Al-'Arwi, 'A. (1995). The Concept of Reason. Beirut: Arab١٠- Cultural Center.
Abd al-Rahman, T. (2006). The Arab Right to Philosophical١١- Difference. Beirut: Arab Cultural Center.
Tizini, T. (2000). From Heritage to Revolution: On a Theory of-- Arab Heritage. Beirut: Dar Al-Haqiqa.
Said, E. (1997). Orientalism (K. Abu Deeb, Trans.). Beirut:١٤- Arab- Research Foundation.
.Books ١٥Orientalism. New York: Pantheon .(١٩٧٨)Said, E. W.
Manuscripts in the British Museum. ١٦-Catalogue of the Arabic .(١٨٧٧)Wright, W.
.London: British Museum
.L'Imprimerie Royale -١٧:Chrestomathie Arabe. Paris .(١٨٢٩)De Sacy, S. -

References

Arabic -Graeco -١Greek Thought, Arabic Culture: The .(١٩٩٨)Gutas, D.
.TranslationMovement in Baghdad and Early Abbasid Society. London: Routledge
the Islamic World. ٢-Hagarism: The Making of .(١٩٧٧)Crone, P., & Cook, M.
.Cambridge: Cambridge University Press
٣-sian Social Science: Responses toAlternative Discourses in A .(٢٠٠٦)Alatas, S. F.
.Eurocentrism. New Delhi: Sage Publications